الأستاذ محمد أوجرتني
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة
m.oudjertni@gmail.com

عنوان المداخلة: نوازل مازونة قراءة في الإطار التاريخي ومكانتها في الأبحاث التاريخية.

الملخص:

تعد نوازل مازونة من أكثر النوازل مكانة في تاريخ المغرب الأوسط لما حملته من قيم وفوائد للدارسين والباحثين، ذلك لكون هذه النوازل لا تخص فقط مازونة بل تشمل أغلب جهات البايلك والقطر الجزائري بل والمغرب الإسلامي والأندلس، وذلك لكون القضايا الفقهية غير ثابتة بالحدود أو ملتزمة بالكيانات السياسية القائمة، كما أن هذه النوازل تعد عملا تشاركيا شارك فيها فقهاء تلمسان والجزائر إلى جانب علماء بجاية وتونس.

وقد حملت أغلب الفتاوى صورة تقريبية للمجتمعات والعقائد والأنشطة والأمزجة السائدة والعادات والتقاليد وجل المسائل الاجتماعية والعلاقات الاسرية وما يرتبط بها من مسائل النكاح والمواريث، فضلا عن مسائل الجنح والتعدي البيني والخصومات المختلفة والمعاملات المالية الرائجة.

وفي هذا العرض تقديم لنوازل المازوني وقراءة في إسقاطاتها التاريخية ومدى استفادة الباحثين منها.

الكلمات المفتاحية:

نوازل فتاوى فقهاء تعليم فقه قضاء.

Summary:

The Mazouna calamities are considered among the most prestigious calamities in the history of the Middle Maghreb because of the values and benefits they brought to scholars and researchers. This is because these calamities do not concern only Mazouna, but rather include most of the regions of the Beylik and the Algerian country, and even the Islamic Maghreb and Andalusia, because the jurisprudential issues are not fixed by borders or committed to political

entities. The list, and these calamities are considered a participatory work in which the jurists of Tlemcen and Algeria participated, along with the scholars of Bejaia and Tunisia.

Most of the fatwas carried an approximate picture of societies, beliefs, activities, prevailing moods, customs and traditions, and most social issues, family relations, and related issues of marriage and inheritance, as well as issues of misdemeanors, domestic transgression, various disputes, and common financial transactions.

This presentation includes an introduction to the calamities of Al-Mazoni and a reading of their historical projections and the extent to which researchers benefit from them.

key words:

Issues of fatwas of jurists teaching judicial jurisprudence.

أولا المذهب المالكي في المغرب الأوسط.

1.- التعريف به

ينتسب المذهب المالكي إلى الإمام مالك بن انس رضي الله عنه، ولد سنة **93** للهجرة بالمدينة المنورة[1]. نشأ الإمام مالك في بيت علم وصلاح، وبيئة تناول فيها أهلها علوم الحديث والأثر. وكان بيته مرتعا للعلم والسير. عاصر الإمام مالك الخلافتين الأموية والعباسية، لكن حظه في الثانية كان أوفر، وقد لزم مالك المدينة المنورة وأخذ عن فقهائها من التابعين كعبد الرحمن بن هرمز، ونافع مولى عبد الله بن عمر، وابن شهاب الزهري[2]. خرج في طلب العلم دون العشرين وتأهل للإفتاء وله إحدى وعشرين سنة، فقصده أهل العلم وطلبته وصار عالم أهل الحجاز وحجة زمانه.

وكان للبيئة التي نشا بها الإمام مالك دورا أساسيا في تكوين شخصيته ونبوغه، وحرصه على تقفي النصوص والآثار، فالمدينة المنورة كانت موطن الشرع ومنطلق الإسلام ومسكن الصحابة وأهل الخير والفضيلة[3].

نشأ مالك ناصرا للسنة الصحيحة محاربا للبدع وأهل الأهواء، قال القاضي عياض"ت1149" : "كان مالكا رحمه الله أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، و"قال سفيان بن عيينة: سأل رجل مرة مالكا رضي الله عنه عن قوله تعالى "الرحمن على العرش استوى"، كيف استوى؟ فسكت مالك ثم قال: "الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالا أخرجوه" فنادى الرجل مالكا :يا أبا عبد الله، والله لقد سألت عنها أهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحدا وُفق لما وفقت له".

ويذكر المؤرخون أن هارون الرشيد شاوره في أن يعلق الموطأ بالكعبة ويحمل الناس على ما فيه فأبى، وقال :" إن أصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب"[4]، وهو ما ينبئ بسماحة مالك، وتقبله للرأي الآخر المخالف له.

بلغ مالك مرتبة متميزة في العلم، وصار إمام دار الهجرة، وأجمع على إمامته، ودينه وورعه كل أصحاب الفقه والحديث. وكان كان عياض يقول "لا أعلم من علم الناس بعد القرآن أصح من موطأ مالك" ثم قال :

إذا ذكرت كتب العلوم فخيرها كتاب الموطأ من تصانيف مالك[1]

---

1 - أحمد أبو زهرة، أبو حنيفة حياته عصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، 1945، ص 20.

2 - وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج01 ، ط02، دار الفكر، دمشق 1985، ص 31.

3 - أحمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 22

4 - عبد المجيد بيرم، "التفقه في الدين بين التمذهب والتحرر" ، في مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، جامعة الجزائر، العدد 01 ، سنة 2004 ، ص **322.**

أخذ الكثير من الطلبة العلم عن مالك، وتنوعت أقطارهم وبلدانهم التي جاؤوا منها بحثا عن العلم والحكمة منهم المغاربة كأبي الحسن علي بن زياد التونسي "183هـ"، وأسد بن الفرات بن سنان "ت **213هـ**". وكان لمالك تلاميذ كُثُر زاد عددهم على ألف وثلاث مئة، عد منهم السيوطي نحو تسعمائة بأسمائهم وأنسابهم[2].

ومنهم ناقلو المذهب إلى المغرب العربي البهلول بن راشد القيرواني "ت183هـ" الفقيه المالكي الذي كان الناس يولونه حبا كبيرا، والقاضي سحنون "ت240هـ"سحنون الذي جمع صفات حب الفقه والورع والصرامة في التمسك بالحق والزهد وعدم خشية السلطان.

اختلف الفقهاء في ضبط قواعد وأصول المذهب المالكي فيرى بعض الباحثين والأصوليين أن مذهب مالك يعتمد على سبعة عشر قاعدة فقهية[3]، القواعد الخمسة الأولى مستنبطة من القرآن الكريم، وأما الخمسة الثانية فمن السنة النبوية، بالإضافة إلى قاعدة الإجماع والقياس وعمل أهل المدينة[4] وقول الصحابي والاستحسان وسد الذرائع[5] والاستصحاب[6]. وعدد الفقيه المصري القرافي"ت660" قواعد المذهب المالكي في الأصول التالية:

القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع وإجماع أهل المدينة أو عمل أهل المدينة، والقياس وقول الصحابي والمصالح المرسلة والعرف والعادات[7]، ثم ذكر سد الذرائع والاستصحاب والاستحسان.

---

1 - إبراهيم القادري بودشيش، صحوة المذهب المالكي خلال القرن الخامس الهجري/ مقال اليكتروني، جامعة مكناس المغرب.

2 - خير الدين سيب، "انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب"، أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي، ملامح عن المذهب المالكي بعد مرحلة التأسيس، وزارة الشؤون الدينية، عين الدفلى، الجزائر، سنة 2008 ، ص66.

3- الشاعري الزيتوني، ذكرى الإمام مالك بن انس ندوة الإمام مالك إمام دار الهجرة، أعمال ملتقى، الجزء الأول، فاس، المغرب سنة 1980. ص223.

4 - عمل أهل المدينة: تميز مذهب مالك عن غيره من المذاهب، بأصل فريد يطلق عليه إجماع أهل المدينة الذي قال فيه ابن خلدون: "وأما أهل الحجاز فكان إمامهم مالك بن أنس الأصباحي إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى واختص بزيادة مدرك آخر للأحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره وهو عمل أهل المدينة.وصار ذلك عنده من أصول الأدلة الشرعية ."

5 - سد الذرائع: الذرائع في اللغة جمع ذريعة، وهي الوسيلة إلى الشيء وسدها يعنى منعها. وفي اصطلاح أهل الشرع: "الذرائع هي الأمر الذي ظاهره الجواز، إذا قويت التهمة في التطرق به إلى الممنوع"، أو هي "عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه، يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع"، وسد الذرائع يعني منع جميع الوسائل المؤدية إلى المفاسد ولو كانت هذه الوسائل جائزة في ذاتها. انظر اسماعيل يحي رضوان، الاستدلال بسد الذرائع عند المالكية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد الأول، جامعة الجزائر، 2004، ص ص 51-67.

6 - الاستصحاب لغة هو المصاحبة أو استمرار الصحبة وجعل الشيء صاحبا ومصاحبا .وفي الاصطلاح: يطلق على اعتبار الحكم الذي ثبت بدليل في زمن سابق قائما في الحاضر، حتى يظهر دليل مغاير يلغي استمرار الحكم السابق وهو على أنواع .

7 - العادة في اللغة الدأب والديدن وتكرار الأمر و العادة وفي الاصطلاح ما استمر الناس عليه على حكم

2.- مساراته.

تفرع عن مذهب مالك الكثير من المدارس والحواضر الفقهية التي ارتبطت بمؤلفات أشهرها مدرسة المدينة المنورة ومدرسة العراق والمدرسة المصرية والمدرسة الأندلسية ومدرسة التي تضم مجموعة من الحواضر العلمية والفقهية[1] تمتد من القيروان إلى فاس وتضم تونس بجاية مازونة تلمسان فاس مراكش وغيرها[2].

وتجذر المذهب المالكي عند سكان المغرب الأوسط خاصة منها قبيلتا زناتة وصنهاجة[3]،

و أول شخصية عملت على إدخال المذهب المالكي إلى المغرب الإسلامي هو الشيخ محمد الله بن فروخ 110هـ لقي مالكا وأبا حنيفة وسفيان الثوري بمصر سنة 176هـ، وقال فيه مالك فقيه أهل المغرب[4]. ويرى البعض الآخر أن علي بن زياد الطرابلسي (ت183هـ) هو أول من أدخل موطأ الإمام مالك[5] لبلاد المغرب، ثم عمل تلاميذه على نشره من بعده ومنهم أسد بن الفرات وسحنون والبهلول بن راشد وغيرهم[6].

ومن أسباب ظهور مذهب مالك بالغرب الإسلامي أن حجاج المغرب والأندلس قدموا فسألهم عن سيرة عبد الرحمن الداخل فقيل له "إنه يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في الله"، فقال مالك "ليت الله زين حرمنا بمثله"، فنقم بنو العباس على مالك، وكان ذلك سبب

المعقول وعادوا إليه مرة بعد أخرى, العوائد في اللغة جمع عادة والعادة الدأب والديدن وتكرار الأمر .

وأما العرف فهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه وفي الاصطلاح: العرف ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول واتفق الفقهاء على اعتبار العادة والأعراف الصحيحة من مرتكزات الاجتهاد، مستندين إلى جملة من الأدلة من نصوص القرآن منها قوله عز وجل: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) سورة البقرة الآية: 227، وقوله تعالى: (وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) سورة البقرة، الآية: 232.

1 - تعد هذه المدن من أبرز المدن الإسلامية التي احتضنت الفقه المالكي وطورته وفتحت سبل دراسته ونشره في المغرب الإسلامي

2 - أحسن زاقور، مدارس الفقه المالكي، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد الأول، جامعة الجزائر، 2004، ص ص 27-51.

3 - أحسن زاقور، المقال نفسه . ص ص 27-51.

4 - سبع قادة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، (ر.م.غ.م) ، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران الجزائر، 2004، ص26.

5 - أحمد الزاوي الطاهر، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، وبه ملحق الفتاوي الزاوية على مذهب السادة المالكية، تح ناصر الدين محمد الشريف، 1999، ص03.

6 - أحمد الزاوي الطاهر، المرجع نفسه ، ص04.

إلى ضربه في مسألة الإكراه، وبلغت مقالته صاحب الأندلس فسر بها كثيرا وجمع الناس على مذهبه فانتشر في أقطار المغرب[1]، وتركوا مذهب الأوزاعي[2].

وتجدر الإشارة إلى أن فقهاء المغرب الإسلامي قد خالفوا منهج التأليف المتبع في الموطأ إلى المنهج إلى المنهج المتبع في المدونة، فالموطأ يأتي بالحديث ثم أقوال الصحابة وغيرهم، أما المدونة فأتت على على شاكلة سؤال من سحنون يوجهه لابن القاسم فيجيب عنه بما رواه عن مالك وما بلغه عنه ثم عنه ثم يأتي سحنون ببعض الآثار لتأييد هذا الفقه3.

ويذكر أن الإمام مالك كان شديد الإعجاب بالطلبة المغاربة لما لمسه فيهم من حسن الاستعداد الاستعداد والجد والحرص على الإتباع، فخصهم بمكانة مرموقة[4].

واجه المذهب المالكي في طريقه إلى الانتشار في الغرب الإسلامي واقعاً اجتماعياً وثقافياً مغايراً لما واجهه في جهات أخرى من العالم الإسلامي، وجاهد الفقهاء المالكية للدفاع عن مذهبهم وفي العمل على نشره. وقاوموا طغيان الحكام وفسادهم وسلكوا سياسة المقاطعة للأمراء وعدم السير في ركابهم، مما كان له أثرا حسنا في نفوس المغاربة الذين عرفوا منذ القديم بنزعة الاستقلال عن دار السلطان، فصار هؤلاء الفقهاء رمزا للزعماء المدافعين عن الضعفاء، والمتمسكين بالدين والشريعة.

وامتد تأثير فقهاء المالكية في الحياة الفكرية والدينية حتى بلغ نقد حركات التصوف فقد رأوا في حركة أبي حامد الغزالي خروجا عن الإجماع، وأفتوا بإحراق كتاب "الإحياء" وصدرت الفتوى عن فقهاء قرطبة سنة 503 هـ[5] في مقدمتهم ابن حمدين، وكتب الأمير المرابطي تاشفين بن علي (537 – 539 هـ)

1- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء01، تح جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ص**139**.

2- نذير حمادو، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، دار الفجر للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص40

3 - محمد الورياغي، "أثر الشخصية المغربية في فقه مالك"، في ندوة الإمام مالك إمام دار الهجرة، ج01، فاس، المغرب، 1980، ص**298**.

4 - إبراهيم القادري بودشيش، المقال السابق.

5- كان موضوع هذه الفتوى وما بعدها من إحراق لكتب الغزالي مجالاً لمساجلات عديدة بين الفقهاء حيث فسر بعضهم ذلك العمل بجمود وتحجر الفقهاء وعدم قبولهم للرأي المخالف، ورأى آخرون أن أفكار أبي حامد الغزالي التي ضمنها كتابه "الإحياء" لم تكن لتنسجم مع ما كان عليه المغرب الإسلامي من مواجهة دائمة مع النصارى تستلزم فقه الشدة والأخذ بالعزائم وتحريك الهمم للجهاد، وليس الدعوة إلى الانزواء والشعور الانهزامي، ومنهم من رأى أن المالكية حاربوا الغزالي لما صدر عنه في حق الفقهاء في باب العلم من كتابه "الإحياء" حيث رماهم بالتهافت على المناصب الدنيوية، وطلب المال. وبناء عليه فقد برر بعض المؤرخين إحراق مؤلفات الغزالي لصيانة الوحدة المذهبية للمغرب الإسلامي، كما أن هذا الإجراء يدخل في نطاق عملهم القائم على التوجيه والمراقبة، وقد كانوا حريصين على

باعتبار الكتاب المذكور بدعة وجبت محاربتها في رسالة بعث بها إلى أهل بلنسية سنة 538هـ، ومما جاء فيها: "ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة، وخاصة وفّقكم الله كتب أبي حامد الغزالي، فليتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها"[1].

واعتبر فقهاء المالكية زعيم الموحدين محمد بن تومرت وأتباعه خوارج وبغاة ومثيري فتنة[2]. وتجلى الصراع بين الطرفين في عهد يعقوب المنصور الموحدي[3] الذي قام بحرق كتب سحنون وابن يونس وابن ابي زيد[4].

ولما ملك الزيانيون (633-962هـ 1235-1554م) المغرب الأوسط عملوا على الاعتناء المالكي فانتعش، ونبغ العشرات من الفقهاء الذين أثروا خزانة المذهب كالمقري والمشدالي[5] والمغيلي[6] والمازوني وغيرهم. وفي نفس الفترة برزت مدرسية مازونة الفقهية الناشئة.

ثالثا التدين بين التقليد والاجتهاد.

إن الناظر للاتجاه العام الذي سارت فيه الدولة العثمانية والولايات التابعة لها منذ السادس عشر الميلادي يرى أن خط السير كان غير مواكب للتجديد وغير مشجع على التجديد في أغلب الأحيان، وكانت النخب الدينية والفقهية تدعو للتمسك بالعلوم الموروثة والثقافة ففي مصر يذكر المؤرخ المصري الجبرتي أن أحد الوعاظ أخذ يحض الناس على عدم التوجه

الدعائم التي قامت عليها دولة المرابطين وهم الذين فتحوا لرجالها المغرب والأندلس قبل أن تفتحها رماح انظر الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، ج 12، ص. 185 وما بعدها.

1 - إبراهيم القادري بودشيش، المرجع السابق.

2 - المرجع نفسه، ص74.

3 - يعقوب المنصور الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور ثالث خلفاء الموحدين خلف أبا يعقوب يوسف. حكم من 1184 حتى وفاته في مراكش عام 1199. تميز عهده بانجاز مشاريع كبيرة عمرانية وعسكرية وأدبية احتضن ابن رشد في بلاطه وحماه. هزم ألفونس الثامن القشتالي في معركة الأرك في 19 يوليو1195م. واتخذ لقب "المنصور بالله". وحين حرر صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، تجمع الفرنج من كل جهة ولم يستطع مواجهتهم لضعف أساطيله يومئذ، فبعث إلى المنصور يطلب إعانته فلما وصل المغرب قدم له الرسول الرسالة وكان عنوانها: "من صلاح الدين إلى أمير المسلمين" ولما وقف عليه المنصور ورأى فيه عدم خطابه ب "أمير المؤمنين" لم يعجبه ذلك ورد الرسول دون قضاء حاجته.

4 - لخضر بولطيف، المرجع السابق، **ص 221.**

5 - المشدالي فقيه وعالم من علماء الجزائر ولد بزواوة ببجاية سنة 822 حفظ القرآن ودرس الحساب والصرف والنحو وعلوم الشرع ثم رحل إلى تلمسان والتقى محمد بن مرزوق ابن حفيد العالم الشهير وأبي القاسم بن سعيد العقباني فأخذ عليهما ثم عاد لبجاية وتصدر للتدريس والفتوى ثم زار بونة وقسنطينة، وتونس ثم تنقل إلى قبرص وبيروت ودمشق، وسكن القدس مدة، وفي سنة 849 حج بيت الله. توفي المشدالي بحلب السورية ودفن بها، انظر: مختار الأخضر طيباوي، مقال اليكتروني،

6 - مسعود بن موسى فلوسي، المرجع السابق.

قصد الزيارة والتوسل بها، فتأثر به الناس وشرعوا يكفون عن زيارتها، لكن شيوخ الأزهر وقفوا ضده، وتحرك الحراس يفضون تجمع الناس حوله حتى قضي عليه1.

إن في ظل الجمود الفكري ترسو قواعد التقليد الأعمى في جميع المجالات، وتكرس ثقافة الاكتفاء بما خلفه الأولون، فيسعى كل أتباع مذهب ومجموعة فقهية، إلى إبراز محاسنها لكسب الأنصار والمؤيدين، مما قاد إلى نشوب معارك مذهبية ودينية عنيفة، غذاها الترف الفكري والنقاش العقيم الذي أعاد وضع المجتمع عند نقطة الانطلاق. ودار مجمل الصراع الكلامي والجدل في مسائل ثانوية لا تقدم ولا تؤخر، ومن أمثلتها مسألة جواز التقليد من عدمه، ووجوب الاجتهاد بالنسبة للعامة من الناس، وتكفير أتباع المذاهب المخالفة ونبذ تقليد الكفار وغير ذلك.

لقد كانت الصعوبات القاسية التي عاشها المغرب الإسلامي، ومنها سقوط الأندلس بيد الإسبان، وشيوع الفوضى والاضطرابات المختلفة في أغلب الأصعدة، سببا في توقف العطاء الحضاري. الحضاري. وفي ظل الركود الفكري والديني الذي ألمّ بالمنطقة وضعف التدين وهشاشة إيمان الناس، الناس، وعودة الصراعات القبلية وانحسار الدعاة وقلة العلماء والفقهاء، وبداية سيطرة التصوف التصوف الطرقي، برزت مسائل علم الكلام، وظهرت النقاشات لبعض المواضيع العقدية من طرف طرف العامة، والتي انتهت إلى جملة من النتائج الخطيرة، منها خاصة انتشار ظاهرة التكفير للمسلمين2.

ونظرا لكون تماسك المجتمع الإسلامي ووحدته الفكرية والعقدية، من أهم الرهانات التي يحرص الفقهاء والعلماء على صيانتها والذود عنها، فقد قام الفقيه الجزائري بوشقرون الوهراني3 بتأليف رسالة في الموضوع سماها "الجيش والكمين لمن كفر عامة المسلمين". وقد نالت هذه الرسالة مساندة كثير من الفقهاء المعاصرين لبوشقرون الوهراني.

---

1 - طه جابر العلواني، التمذهب الفقهي في العهد العثماني، في المجلة التاريخية المغربية، العدد09، تونس ص 379-390.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الثقافي، المرجع السابق، ص80.

3 - ولد الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الوهراني، نحو سنة 1473م ، في أسرة محافظة فأبوه هو العالم الشيخ أبو العباس احمد بن جمعة المغراوي الوهراني المتوفي سنة 1514 م صاحب الفتوى الشهيرة إلى الموريسكيين بالأندلس، تدعوهم للبقاء في بلادهم وعدم هجرانها، انتقل إلى فاس وتتلمذ على يد بن غازي (ت951هـ-1544م)، والدقون (ت 921 هـ – 1515م) واستقر بمدينة فاس وكان بوشقرون واسع المطالعة شديد حضور الفكر. من مؤلفاته منظومة شعرية بعنوان " تقريب المنافع في الطرق العشر لنافع" في علم القراءات، ونال حظوة كبيرة عند العلماء قال فيه ابن محمد مخلوف: "الأستاذ المتكلم القدوة المقرئ العالم العمدة". نظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009 ص 208.

كما تعد هذه الرسالة نموذجا للمدرسة الفقهية الجزائرية القائمة على الوسطية والاعتدال، ومرجعا فقهيا وعقديا في التعاطي مع مختلف النوازل التي ألمت بالأمة في مواجهتها لفكر التكفير، في سبيل الحفاظ على الوحدة الدينية والمذهبية.

وبرزت من ناحية أخرى اجتهادات فقهية لكنها ظلت بعيدة عن التأثير في الواقع الاجتماعي وحبيسة التقليد داخل جدران النسيج الاجتماعي المنغلق، ومن تلك الكتابات التي دارت في هذا الفلك "نوازل المازوني" موضوع دراستنا.

رابعا التعريف بالنوازل.

1.- لغة:

النوازل لغة جمع والمفرد منها نازلة، وتعني هبوط شيء ووقوعه من عل، وتعني كذلك النازلة المصيبة الشديدة الت يتحل بالناس وتزلزل أقدامهم.

قال الشافعي :

ولَرُبَّ نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج

2.- اصطلاحا:

تعني النوازل في الاصطلاح المسائل الجديدة الواقعة بحياة المسلمين سواء كانت سراء أو ضراء والتي تستدعي اجتهاداً وبياناً للحكم الشرعي فيها.

واشترط الشراح في النوازل جديتها أي أن تكون جديدة حتى تخرج عما سبق الوقوع فيه في الماضي من مسائل ويكون الفقهاء قد تحدثوا فيها، وأصدروا فيها حكماً معلوما.

واستدل الفقهاء على حجيتها بقول أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- حين عزم على قتال المرتدين: ""والله لو منعوني عناقاً كانوا يعانقونني لرسول الله لقاتلتهم عليه". ومنه فإن الخليفة أبي بكر لم يكن له أي حكم سابق يفصل في مانعي الزكاة فاجتهد رضي الله عنه فيما استقر عنده من علم وشواهد في مقاتلتهم وأثبت التاريخ بعد ذلك صدقه وإصابته الجادة.

واتفق أهل العلم أن أي نازلة تستدعي اجتهاداً وإفهاما للناس ليدركوا حكمها. وشرع النص التبتل والقنوت في النوازل والشدائد التي تصيب المسلمين حتى يدفعها الله عنهم بالدعاء والتبتل..

ويمكن الخلوص إلى أن النوازل هي مسائل جديدة قائمة تحتاج إلى الاجتهاد وبيان الحكم الشرعي فيها..

والثابت في حياة المجتمعات الإسلامية أن حقائق الحياة تتجدد وتتطور، وأن النصوص الشرعية ترافقها وترسم لها مجالات السير دون الاصطدام بالمحظور، ومن خصائص الشريعة الإسلامية التي تميزت عن غيرها من الشرائع أن كل حادثة لها حكمها، وكل فعل له إسقاط في الشريعة ويمكن الرجوع إليه. ولذلك بقي الدين الإسلامي شامخا مستمرا استوعب المكان

ومسارات الزمان. ولا وجود لمشكلة أو نازلة بلا إجابة، وفي هذا يقول العلامة السرخسي : "وما من حادثة إلا وفيها حكم الله حلالاً أو حراماً".

خامسا فقه النوازل.

وفقه النوازل هو علم شرعي ثابت يهدف إلى معرفة الأحداث التي يحتاج فيها الناس إلى حكم شرعي بين واضح ويستند إلى الأدلة الشرعية الصحيحة، ويزخر التاريخ الإسلامي بمؤلفات فقهية كثيرة كتبها الفقهاء والعلماء والقضاة في مواضيع وقعت في زمانهم وبينوا حكمها الشرعي.

ويذكر أن الفقيه والمحدث أبا حنيفة النعمان صاحب المذهب كان يكثر على تلاميذه وأصحابه طرح الأسئلة والوضعيات الفقهية التي لم تقع ولما سألوه عن ذلك قال إني أفترض هذه المسائل الفقهية التي لم تقع وأجمع لها جوابا حتى إذا ما وقعت كنا في يسر من أمرنا. فقد ورد عنه أنه سأل أحد تلامذته:" ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواما فظنت امرأته أن زوجها مات فتزوجت بغيره ثم رجع زوجها الأول ما تقول فيها" فقال تلميذه :"ويل أوقعت هذه المسالة" قال أبو حنيفة :"لا " فقال له :"تسألني عن شيء لم يقع" فقال أبو حنيفة "أنا استعد للبلاء[1]"

وتبدأ عملية البحث في النازلة عادة بسؤال، حيث يختصره المفتي أو من يكلف به بحيث يكون واضحا ومشتملا بدقة على التفاصيل الرئيسية وتأتي الفتاوى في بعض المؤلفات حسب صدورها عن الشيخ المفتي، دونما يراعى الترتيب. وتصنف في كتابات أخرى حسب المواضيع التي تناقشها، ووفق أبواب سار عليها المصنفون واتفقوا عليها، حيث تكتب المسائل المتعلقة بالعبادات ثم المعاملات ثم سائر الأحوال الأخرى.

وكثيرا ما يقوم تلاميذ المفتي بإخراجها وصياغتها وجمعها بعد وفاة المفتي المجتهد وتنسب إلى صاحبها. وقد تقع بالمدينة والحاضرة نكبات فتضيع كل أعمال المجتهدين وتتفرق أوراقهم ومن حظ بعضهم أن يذكر في حاشية أو شرح معين بعد ذلك.

وتعود التسمية كما يراه كثير من الدارسين إلى فقهاء المغرب الإسلامي الذين اختصوا بها دون المشرق حيث حافظ فقهاء المشرق على التسمية الشائعة والمتمثلة في الفتاوى، ويبدو أن نكبات الأندلس والمغرب الإسلامي التي تعرضوا لها على يد الإسبان ونقل الحرب إلى بلاد الإسلام واستباحة أموالهم وأنفسهم ونسائهم وذراريهم كانت خلف هذه التسمية "النازلة" التي تحمل معنى المصيبة وترافقها أجواء الخطر. وبعد القرن 09 الهجري استعمل أغلب الفقهاء المسلمين مصطلح النازلة والنوازل والتي يراد بها المصيبة والقضية التي تحتاج إلى فتوى. وصار هذا المصطلح مشهور في المذاهب الإسلامية.

---

1 - محمد أوجرتني، الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني1520-1830، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان الاردن، 2018، ص**42**.

وصارت تصنف النوازل وفق تسميات المفتين فيقال نوازل الونشؤيسي ونزازل البرزلي وسمى بعضهم النوازل الصغرى والنوازل الكبرى وهكذا.

وأطلق على كتب الفتوى "النوازل" وسميت كذلك "المسائل" و"الأسئلة" و"الأجوبة" مثل أجوبة الفقيه التونسي التسولي على أسئلة الأمير عبد القادر في أحكام الجهاد واستنهاض المسلمين للدفع عن حياضهم وحماية دينهم بعد الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830. وسميت "الجوابات"، و"الأحكام" عند بعضهم، وتسمى في بلاد أخرى "الواقعات" أو الوقائع وغيرها.

وفي الوقت المعاصر اتخذ الفقهاء والعلماء مصطلحات جديدة للتعبير عن النازلةكالقضايا المعاصرة التي تعني الأمور المختلف فيها في الوقت الحاضر أوالمستجدات الطارئة ويطلق على علم النوازل عدة مصطلحات منها "فقه النوازل" "فقه الواقع" ويعنى به فقه الحياة التي يعيشها المسلمون اليوم، أو "فقه المقاصد" أي تبيان مقصد الشريعة من الفتوى في مسألة معينة، ومقاصد الشريعة هي علم كبير يدركه فطالحة المفتين والدارسين والراسخين في العلم. كما يسميها البعض " فقه الأولويات" أي أن النازلة التي وقعت بالمسلمين أفرادا أو جماعات إنما هي أولوية يجب بحثها حتى تستمر الحياة بصورة طبيعية، وهي من الأولويات التي لا يجب تأخيرها، وسماه البعض فقه الموازنات، نتيجة تشابك الحياة اليومية للمسلمين وتداخل الحديث بالقديم وتضارب آراء المجتهدين فيبحث الفقهاء في تقدير النازلة من مطلق الموازنة مع غيرها أو الموازنة فيما تحمل من ايجابيات وسلبيات للمجتمع الإسلامي وأفراده.

سادسا التعريف بنوازل مازونة

1.- الإطار الزماني والمكاني.

كانت الضفة الشمالية للبحر تعج بكتلة كبيرة من الحقد الصليبي حيث عملت الملكة إليزابيت على مداومة قتال المسلمين وتحولت إلى قديسة من الطراز الأول، وعلقت لها صور في جدران الكنائس، وكتبت في وصيتها "**لا يجب توقيف التوسع في إفريقيا ولا يجب وقف القتال ضد الكفار**"[1]. ورغبتها في فرض هيمنة المسيحية على سواحل البحر المتوسط[2]، وساهم الكل في صناعة عقلية الحرب ضد المسلمين، وإضفاء أجواء القداسة عليها، سواء الملكة

---

1 - كانت الحرب التي قادتها اسبانيا على المغرب الأوسط وفق ما يراه بعض المؤرخين حربا صليبية جديدة وجاء الهجوم الاسباني بمباركة الكنيسة التي قدمت الأموال اللازمة للحملة على شكل قروض ثابتة. انظر الراشدي بن سحنون الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني تحقيق المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي، مطبعة البعث قسنطينة 1973 ص **11**.

2 - Ernest mercier, histoire de l'Afrique septentrionale (berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830) , tome second, Paris, Ernest Leroux éditeur, 1868p,419.

إيزابيلا أو النبلاء أو الشعب الاسباني أو الكاردينال قسيمينيس، الذي كان صوته مسموعا أكثر من غيره[1].

اتسمت الفترة المدروسة 1520-1830 بالجفاف الفكري والركود العلمي، فقد حرص جل فقهاء الإيالة على العمل والأخذ من المؤلفات المشهورة في ميدان الفقه كـ"مختصر خليل" و"مختصر ابن الحاجب" و"الرسالة"، بينما حاول فقهاء آخرون تكسير هذا الجمود، ونشطوا في ميدان التأليف والعمل على الاجتهاد في استنباط الأحكام القضائية، وشرح الأصول القضائية، ومن أمثلة هؤلاء "سيدي أبو العباس أحمد الغربي" الذي ذكره "الفكون" في منشور الهداية.

ولم يكتفي البعض منهم بالعمل بالمذهب الفقهي الواحد كـ"الفكون" و"أحمد المقري" و"يحي الشاوي" و"أحمد بن عمار" و"عبد القادر الراشدي" و"ابن العنابي"[2]، وحرصوا على طلب الجديد من العلوم والمعارف الدينية في الأمصار المجاورة، خاصة زمن مرور ركب الحج. يقول ابن ميمون "وكان عادة علماء البلد الخروج لركب الحج لملاقاة علماء الأمصار الأخرى"[3] فيقع الجلوس عندهم وتبادل النقاش والأفكار حول الفتاوى والمصنفات الجديدة في أغلب ضروب العلم والفقه[4].

وكان الاهتمام منصبا على أمور الدين بتفريعاته المختلفة بينما كانت العلوم العقلية قليلة الحظ واقتصرت على بعض المدن والطلبة. وهاجر طالبي العلم إلى المشرق بدءا بالزيتونة وانتهاء بالأزهر أو الحرمين الشريفين.

وسيطرت على الوضع الثقافي والديني في مناطق شاسعة من المغرب الأوسط الطرق الصوفية التي تحسن الانتشار في الفراغات التي يعجز الفقهاء والعلماء في شغلها، فانتشرت تلاوة الأوراد وحلقات

---

1 - De Grammont H.-D. Histoire D'alger .sous la domination Turque (1515-1830) Ernest Leroux, éditeur PARIS 1887 p .02.

2 - صالح بوبشيش، المرجع السابق، ص144.

3 - محمد بن ميمون، التحفة المرضية، الشركة الوطنية للنشر والإشهار الجزائر 1978، ص 78

4 - كان التواصل الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني بين دول المغرب الإسلامي شائعا، فهناك الكثير من الفقهاء ممن قدم إلى الجزائر من تونس والمغرب والعكس، مما يوحي بوجود تقارب ثقافي بين هذه الدول، ووجود تسهيلات سياسية بينها، ومن هؤلاء العلماء الذين لعبوا أدوارا في التواصل الثقافي بين بلدان المغرب الإسلامي نجد الشيخ "سعيد قدورة" (تمت ترجمته)، والشيخ "علي الأنصاري" الفقيه المتصوف (ت1648م) والذي كان على صلة وثيقة بيوسف باشا(1647 إلى1650) حاكم البلاد، ومنهم كذلك الشيخ "محمد بن علي الخروبي" الذي بالإضافة إلى مساهماته العلمية المتنوعة أرسلته السلطة في سفارة إلى المغرب للتفاوض بشأن الحدود بين البلدين سنة 1552م، وغيرهم ... انظر: نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص190 .

الذكر والرقص والطقوس والذبح عند الأضرحة، وكان لكل طريقة أورادها وحركاتها التي تتشرف بممارستها وصار التصوف دروشة1.

وكل من يتصفح مؤلفات ذلك العصر يجد نفسه يعيش في عالم الأموات على حد تعبير بن عبد الكريم الجزائري "فهذا يرقب خروج الدابة والأخر ينتظر ظهور الدجال وذاك يتوقع الدنيا وفناء المادة والنفخة الأولى ومن ظفر بكتاب ابن سيرين لتأويل رؤياه فقد فاز بكل ما يتمناه"2

ووصف ابن العربي أحوال المغرب الإسلامي زمن الموحدين أن المصائب نزلت بالعلماء في طريق الفتوى لما كثرت البدع وذهب العلماء وتعاطت المبتدعة منصب الفقهاء وتعلقت أطماع الجهال به فنالوه بفساد الزمان" وأردف بقوله:"اتخذ الناس رؤوسا جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"حاضرة الفقه المالكي.

كانت القرى والأرياف الجزائرية تعيش الظروف الطبيعة القاسية من جبال وتلال ساهمت في صنع التذمر والثورة ضد الأوضاع السيئة وكان المرابطون الثائرون يؤوون إليها طلبا للحماية رغم أنهم لم يكونوا ملهمين3.

وتمثل مازونة نموذجا للمدينة المنعزلة التي عجزت عن تأمين علاقات حضارية مع الجوار والتطور الطبيعي ضمن إطار المغرب الأوسط.

وقد كانت البيئة الزيانية سياسيا فاسدة حانقة على العلماء على حد تعبير أحمد بن يوسف المليانى حيث وصفها بأنها أسوأ من سلطنة اليهود4، لذلك نقم منه صاحب تلمسان وأمر بحرقه وتقول الرواية أنه نجا من المكيدة بكرامته ومكانته، وهذا الاستقطاب بينه وبين الزيانيين هو الذي دفعه إلى الاقتراب والتحالف مع العثمانيين5. فقد تعرض الزياني المولود بقلعة بني راشد بجبال بني شقران نواحي معسكر للعنت والمضايقة بعدما نال حظه من العلم والتصوف، والتفاف الناس حوله. فأمر السلطان بقتله لكن عامله على وهران أمره بالرحيل، فخرج منها وأقام زاوية جديدة في هليل، وتقول الأسطورة الشعبية أن الشيخ دعا على الزيانيين فقال :" شوشوا علينا شوّش الله عليهم من البر و البحر" فلم يمر وقت طويل حتى أخذ الاسبان

---

1 - سعد الله أبو القاسم أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1996ص(178

2 - محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، **ص48**.

3 - houari Entre Dieu Et Les Hommes Lettres Saints Et Sorciers Au Maghreb 17eme Siècle, éditions de l'école des hautes études en science sociales Paris. 1994p251.

4- صادوق محمد الحاج، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، د.م.ج، الجزائر، 1964، ص114.

5- المرجع نفسه ص101.

مدينة "وهران" و أخذ الأتراك مدينة:" تلمسان ". ونسج أتباعه حوله الكثير من الكرامات والمعجزات والخوارق[1].

ومما زاد في تعقد الوضع الفكري والفقهي اختلاط الفقه بالتصوف والدجل، وكان أحمد بن أحمد بن يوسف الملياني يشكل نموذجا في ذلك ونتيجة لآرائه المتطرفة وأقواله ثار عليه الكثير من من علماء الدين والناس عامة خاصة في مدينة القلعة قلعة بني راشد المجاورة[2].

تقع مازونة في قلب جبال الظهرة قريبا من البحر المتوسط الذي يفصلها عنه نحو20كلم نحو20كلم وكانت المدينة على عهد المدن القديمة محاطة بالأسوار وقد ورد ذكر سور المدينة في نوازل نوازل المازوني من خلال نازلة تقدم بها أحد السكان حول مجاورة بيته لسور المدينة الذي يحميها يحميها ويحمي جموع المسلمين الساكنين بها3 وكان سور المدينة يشكل حماية لها من الغزو الأجنبي، والسور ثقافة سائدة خلال هذه الفترة خاصة لمدينة مثل مازونة. ويتحدث مارمول وكارافيخال عن وجود أسوار عديدة وليس سور واحد4. وسكن المدينة قبيلة جراوة في العصور الإسلامية المبكرة واتخذها الأتراك عاصمة لبايلك الغرب بعد احتلال وهران،

ومازونة بلدة عريقة تأسست في قلب الجبال في موقع حصين كثير المياه وموقع يتوسط الطرق الواصلة بين الشرق والغرب، ونتيجة لذلك فقد كانت مستهدفة من طرف الغزاة الذين استوطنوا المغرب الأوسط وتنافس عليها ملوك الزيانيين والموحدين طويلا، وسميت مازونة بهذا الاسم لعدة تفاسير فمنهم من اعتبرها كلمة رومانية نظرا للآثار المكتشفة بها ومنهم من اعتبرها مدينة بربرية بناء على الأسطورة التي تفيد بزواج قائد اسمه مانع من امرأة محلية اسمها مازونة ومنهم من يورد أصل المدينة إلى اخوين احدهما اسمه مازونا والآخر مديونا . أما بطليموس اليوناني فيعتقد أنها كانت موجودة زمن الحكم النوميدي وغيرها من التأويلات[5].

وأما عن نشأة المدينة فيرى مؤرخون أنها كانت موجودة منذ العهد الروماني حسبما يقول مارمول الذي عثر على عدة قطع نقدية رومانية بضواحيها ويذهب المؤرخون المسلمون إلى تحديد تاريخها بالعهد الإسلامي بعد الفتوحات الإسلامية التي شهدتها البلاد في القرن الثامن الميلادي[6] منهم

---

1 - Bodin (m.), " Notes et questions sur sidi Ahmed Ben Yousef" ,in R.A N° 66, 1925 ,p132.

2 -opcit ,p157**.**

3 - عباسي غنية، مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط دراسة مونوغرافية، مذكرة ماجيستير في تخصص المدينة والحياة الحضرية في الغرب الإسلامي من القرن 07 إلى القرن 19م جامعة الامير عبد القادر قسنطينة 2012. ص113

4 - عباسي غنية، المرجع نفسه. ص114.

5 - ميلود ميسوم مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2002. ص05

6 - ميلود ميسوم المرجع نفسه ص06.

ابن خلدون الذي يرى تأسيس المدينة على يد قبيلة جراوة البربرية حيث تسميها بعض النصوص التاريخية بمازونة جراوة. ويخالف هذا الطرح الرحالة الإدريسي الذي يعتقد بوجود المدينة قبل ذلك بعدة قرون من انتشار الفتح الإسلامي لها.

ويرى الرحالة الانجليزي توماس شو ان المدينة بناها الأهالي نظرا لطابع العمران الذي وهو طابع محلي يشبه القلعة. ومهما بسطنا القول فان للمدينة تاريخ عريق ضارب في القدم[1]. ولا تزال أضرحة الشيوخ والعلماء بالمدينة كضريح سيدي محمد بن الشارف وضريح سيدي ابي طالب وابي راس المازوني[2].

أما عن الواقع الثقافي والفكري الذي جعل من المدينة تتميز عن غيرها من الحواضر اهتمامها بالتعليم واعتناؤها به وقد درست في مازونة العلوم النقلية والعقلية، كغيرها من الفترة، ونالت المرأة حظا وافرا من التعليم[3]مثل الذكور.

وقد كان التعليم شائعا ومنتشرا في المدينة واعتمد فيه طريقة الحفظ والتكرار للمتون والاوراد والتاليف المختلفة[4]. وكان يتناولون تقييم طلبتهم بمنحهم الإجازات من الأسانيد العالية التي توصلهم لطبقة مرموقة من الفقهاء سواء داخل الجزائر أو خارجها. وذاع صيت علماء مازونة ما حذا بالقرى المجاورة إلى طلب إجازتهم كفاس ومؤدى هذا إلى امتلاك علماء مازونة إجازة عليا في الحديث جعل الطلبة يتممونهم لهذا الغرض[5]..

وقد شجع العثمانيون العلماء للنيل من المعارف منها العسكرية وقد عثر أحد الباحثين على وثيقة كتاب ألفه أحد الشيوخ في مازونة يدعو فيه للعناية بالمدافع ويشرح فوائدها ويشجع على الصناعة العسكرية وصاحب الرسالة هو إبراهيم بن زكرياء الأندلسي والكتاب بعنوان "العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع"، وهي رسالة مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر.[6]

ومن ابرز المؤسسات التعليمية مدرسة مازونة الفقهية تدرس فيها مختلف فنون الفقه واللغة والأدب والتفسير والمناقب والسير، وعرفت بكثرة ما بها من حلقات ذكر وفكر ونقاش وتعدد الطلبة وحلقات العلم. وتفيد الوثائق التاريخية ان تأسيس المدرسة كان في سنة 1029

---

1 - ميلود ميسوم المرجع نفسه ص06.

2 - ميلود ميسوم المرجع نفسه ص111.

3 - ميلود ميسوم المرجع نفسه ص86.

4 - أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث، دكتوراه في التاريخ الحديث غير منشورة، في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران 2013. ص212

5 - أحمد بحري، المرجع نفسه. ص213

6 - أحمد بحري، المرجع نفسه. ص207

هـ[1]. على يد الشيخ محمد بن الشارف البولدوي. وتتكون المدرسة من مسجد ومكتبة واستراحة للطلبة كعادة آهل ذلك الزمان.

كما وجدت مدرسة فقهية ثانية يرجح أنها تعود للعهد الزياني عرفت باسم المدرسة الزناتية الزناتية التلمسانية اليوسفية، ومن مشايخها الذين تعلموا فيها مترجمنا أبو زكرياء يحي بلن عمران بن عمران بن أبي عمران المازوني المتوفي سنة 1476[2] .

وساهمت الكتاتيب بدور فعال هي الأخرى في نشر التعليم والقراءة والكتابة بين فئات المجتمع المجتمع خاصة الصغار الذين يلتحقون به عندما يبلغون سن 06 حيث يتلقون علوم القراءة والكتابة والكتابة والحساب واللغة العربية كما يدربون على الزخرفة والخط[3] وتتسم العلاقة بين هذه المؤسسات البسيطة بالمرونة والتكامل من أجل أداء دورها الثقافي والتعليمي الهام.

كما نشطت الرباطات المختلفة التي أقامها العثمانيون ورجال الصوفية في نشر التعليم وتلقين مبادئ الصبر والمثابرة والجهاد. وتنفق مؤسسات التعليم في هذه المدينة من تبرعات المحسنين ومن أموال الأوقاف التي أحبست على طلبة العلم.

وأنجبت المدينة العديد من الفقهاء والأعلام منهم عبد الرحمن بن محمد بن الشارف مؤسس المدرسة الفقهية لمازونة ت 1145هـ. والشيخ علي بن محمد بن عبد الرحمن بن الشارف بن المؤسس المذكور أعلاه. وحفيده الشيخ أبو طالب الذي توفي سنة 1818 وكان تدريس متون المشارقة وحواشي الفقه المغربي كمختصر خليل وشرح الخرشي والزرقاني، ومن الأعلام أيضا مترجمنا الشيخ يحي المازوني ت1478م صاحب الدرر المصونة في نوازل مازونة[4].

ومن العلماء الذين درسوا في مازونة الشيخ الجليل مصطفى الرماصي 1725م والشيخ محمد السنوسي 1276م والشيخ أبو راس الناصري المعسكري والشيخ بلقندوز وغيرهم..

3.- احمد بن عيسى المازوني.

مترجمنا هو موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني صاحب نوازل مازونة. نسبة إلى مدينة مازونة في نواحي مستغانم كما مر بنا، ومازونة مدينة قديمة تخرج منها كثير من أهل العلم ولم تذكر المراجع كثيرا عن حياة المازوني والراجح أنه تلقى تعليمه بمازونة كغيره من أبناء جلدته وذكر المازوني عن نفسه في صدر تأليفه أنه تولى القضاء وهو شاب فكانت تأتيه الأسئلة بكثرة، فاجتهد بالرجوع لكتب الفقه والنوازل السابقة باحثا عن جوابها عند الأئمة أصحاب هذه المصنفات، وكان ممن اعتمده في قضائه وتدوينه للنوازل أبوه الذي تولى القضاء قبله، فكان ما جمعه والده آنفا وما جمعه المازوني

1 - أحمد بحري، المرجع نفسه. ص216.

2 - أحمد بحري، المرجع نفسه. ص217.

3 - أحمد بحري، المرجع نفسه. ص219.

4 - أحمد بحري، المرجع نفسه. ص244.

نفسه مادة لبناء الدرر المكنونة" ، وأشار كذلك إلى شيوخه من تلمسان الذين اعتمد عليهم[1]. وبين في مقدمة نوازله أسباب تأليفه لها.

وصاحب الدرة المصونة هو يحي بن أبي عمران بن عيسى المازوني قاضي مازونة وفقيهها وتوفي المازوني في 833 هجرية 1479م بتلمسان وقد تم نسخ نوازل مازونة في 1150هـ على يد محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن المجذوب الفاسي.

وأما شيوخه فهم والده موسى بن يحي بن عيسى الفقيه الالمعي والشيخ ابن مرزوق الحفيد"ت1432م" والشيخ سعيد العقباني "ت1450م" وابو العباس احمد بن زاغو "ت1441م".

اشتهر "يحي المازوني" كما أسلفنا بنوازله والمعنونة بـ"الدرر المكنونة في نوازل مازونة"، حيث جمع فيها نوازل بلاد المغرب الإسلامي التي أجاب عنها علماء تونس، وبجاية والجزائر وتلمسان، وتضم هذه النوازل العشرات من الصور الفكرية والقضايا الفقهية والانشغالات الدينية التي كانت تحكم مجتمع المغرب الإسلامي خاصة منه المغرب الأوسط في القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر الميلاديين[2].

وقد أضاف لمصنفه العديد من الأسئلة المجاب عنها من قبل شيوخ بلاد المغرب، في مسائل العبادات والاعتقادات والأخلاق وشؤون المرأة والزواج والطلاق والميراث والمعاملة والعادات الاجتماعية والعلاقات البينية داخل المجتمع.

استمد الونشريسي"ت1577م" لمعياره ونوازله من نوازل المازوني الكثير وقال عنه واصفا كثرة تبحره في الفقه وعلومه والإحاطة بعلوم عصره "الصدر الأوحد العلامة الفضل ذي الخصلة السنية شيخنا ومفيدنا وملاذنا ومولانا وبركة بلادنا"[3].

و من أثر نوازل المازوني وتأثيره في المنطقة اعتماد الكثير من فقهاء العصر على علمه ونوازله فضلا عن الونشريسي في كتابه " المعيار المعرب" الذي يمثل هو الآخر موسوعة فقهية متكاملة[4]. حتى قال ابن غازي أحد الفقهاء مادحا الونشريسي لو : "لو أّن رجلا حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه، لكان بارا في يمينه، ولا تطلق زوجته لتّبحره، وكثرة إطلاعه، وحفظه وإتقانه[5]" فما يقال يا ترى عن شيخه ومؤثره الشيخ المازوني؟

---

1 - عبد القادر بوعقادة، الحركة الفقهية في المغرب الاوسط بين القرنين 13و15 ميلادي، دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائلا ابو القاسم سعد الله، الجزائر 2015. صص1003-1007.

2 - بركات إسماعيل، المرجع السابق، ص 21.

3 - أحمد بحري، المرجع نفسه. ص244.

4 - الزركلي الأعلام **المرجع السابق** الجزء 08 ص 175

5 - عبد القادر بوعقادة، **المرجع نفسه**.ص1007.

هذا وقد حفلت الدرر بكثير من مسائل اقتصادية وتجارية وأحكام السوق، وقضايا التعامل بين التجار والعلاقات بين القبائل، وحالات الحرب والّسلم[1]، التي جمعها الفقيه وأجاب عنها بما يحقق وحدة المجتمع الفقهية والعقدية..

سابعا أهمية دراسة فقه النوازل في كتابة التاريخ المحلي.

نالت نوازل المازوني الكثير من الاهتمام من طرف العلماء والفقهاء على مر العصور فهي تكتسي أهمية كبيرة في كتابة التاريخ المحلي وقد شكلت في الآونة الأخيرة مصدرا تاريخيا هاما للكثير من الكتابات التاريخية.

والملاحظ والمفيد أن النوازل لا تخص فقط مازونة بل تشمل أغلب جهات البايلك والقطر الجزائري وشارك فيها فقهاء تلمسان والجزائر كالعقباني التلمساني والشيخ الحافظ بن مرزوق شيخ التنبكتي او إلى علماء بجاية وتنوس، ووردت عدة نوازل تذكر بهذا التوزع للفتوى ومشاركة فقهاء المغرب الإسلامي فيها2.

وقد تناولت النوازل بالتصوير الكتابي الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري للمغرب الأوسط في مستهل العصور الحديثة.

ففي منصة المجلات الجزائرية البحثية A.S.J.P تناول نحو 200 باحث الحديث في موضوع النوازل بصورة عامة نظرا لارتباطها بموضيع بحثية متعددة موزعين بين المجالات التاريخية والفقهية والعقدية والقانونية.

وتردد لفظ المازوني صاحب النوازل نحو 30 مرة في عناوين المقالات البحثية، وهو ما يؤكد أهمية هذه النوازل وقيمتها التاريخية والدينية.

فمن النوازل يمكن الولوج إلى طبقات التراجم والعلماء والاطلاع على جهودهم المعرفي مثل جهود أبي عبد الله الشريف3 التلمساني في مجال الفتوى ودوره في الإشعاع الثقافي بالمغرب الإسلامي خلال العهد الزياني من خلال نوازل المازوني.

وممن كتب في الموضوع واستند على المازوني ونوازله طلبة وباحثون في شهادة الدكتوراه والماجستر وبعضهم بحث في جزئياتها من خلال مقالات بحثية متخصصة ويمكن ذكر بعضهم على وجه المثال:

---

1 - عبد القادر بوعقادة، **المرجع نفسه** ص1003-.

2 - عبد القادر بوعقادة، **المرجع نفسه** صص1013.

3 - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي التلمساني هو العالم الأصولي وعلامة بلاد المغرب في زمنه من أهل القرن الثامن الهجري المولود عام 1310) 710 م (بقرية العلويين، إحدى قرى أعمال تلمسان. ترك الإمام التلمساني مصنفات كثيرة أشهرها منها مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، وكتاب في القضاء والقدر، وغيرهما توفي عام 771 (1370 م.

بوكفة يوسف مدرسة مازونة الفقهية النهضة والسقوط رسالة ماجيستير في علم الاجتماع بجامعة وهران سنة 2003.

دور الأحباس بالمغرب الأوسط في القرنين (8- 9هـ/ 14-15م) من خلال نوازل المازوني

النظم الزراعية بالمغرب الأوسط في العصر الزياني من خلال نوازل المازوني.

حوادث الغصب بالمغرب الأوسط وأثرها على المجتمع الريفي(القرنين 8- 9هـ/ 14- 15م) قراءة في نوازل المازوني.

عباسي غنية، مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط دراسة مونوغرافية، مذكرة ماجيستير في تخصص المدينة والحياة الحضرية في الغرب الإسلامي من القرن 07 إلى القرن 19م جامعة الامير عبد القادر قسنطينة 2012. ص113

ميلود ميسوم مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2002. ص05

أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث، دكتوراه في التاريخ الحديث غير منشورة، في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران 2013. ص212

عبد القادر بوعقادة، الحركة الفقهية في المغرب الاوسط بين القرنين 13و15 ميلادي، دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائلا ابو القاسم سعد الله، الجزائر 2015. صص1003-1007.

بركات إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي المازوني، شهادة ماجستير غير منشورة، تخصص التاريخ الوسيط جامعة متنوري 2010، ص 21.

قموح فريد، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لابي زكرياء يحي بن عيسى بن موسى المازوني 1478م رسالة ماجيستير قسم التاريخ جامعة الامير عبد القادر، 2011.غير منشورة

<u>ثامنا القضايا التاريخية الواردة.</u>

كانت اغلب النوازل طارئة عالجها الفقهاء، مثل نازلة "المسنون في أحكام الطاعون" لـ"ابن قنفذ" ت810هـ[1]، و"تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد" لنفس المؤلف، ومن خلال النازلتين يتبين لنا وجود نقاش وجدال كبير، حذا بالفقهاء للتأليف فيه، ويتعلق

1 - ابن قنفد أحمد بن حسن بن علي أبو العباس الشهير بابن الخطيب، فقيه وباحث ومحقق اهتم بالتراجم والتاريخ والفلك، ولد بقسنطينة وتعلم بها ثم رحل للمغرب، وأخذ من فقهاء فاس ومراكش، وتولى قضاء "دكالة" سنة (729هـ) وعمره 29 سنة، ثم عاد إلى قسنطينة وتولى بها عدة وظائف من الخطابة إلى القضاء إلى الفتوى، اشتهر بالتأليف خاصة في الطبقات والعلماء وفي الفلك والعقائد والحساب، من أشهر مؤلفاته التي زادت عن سبعين كتابا "الوفيات" و"الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" و"تسهيل المطالب في تعديل الكواكب"، انظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص268.

بمقومات الأسرة ومرتكزاتها الأساسية وأسس قيامها، ويبدو أن الفقيه "ابن مرزوق الحفيد"[1] ت842هـ قد رد على ابن قنفذ بورقة بحثية أخرى سماها "إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم". ولهذا الأخير أيضا نازلة جديدة سماها "الدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم"[2].

ولقد أكدت النوازل شدة التجاذبات بين الأطراف السياسية وعناصر المجتمع الجزائري والمغرب الإسلامي عامة بما في ذلك الأندلس، ووجود اضطرابات وفتن وضعف البناء السياسي، والتقهقر والركود الحضاري في شتى المجالات وذلك ما نستشفه من خلال كتابات تاريخية أخرى. وذلك لضعف الملوك واستقلالهم بإماراتهم وصراعهم وتطاحنهم من أجل بسط النفوذ على حساب بعضهم البعض. واتسم الوضع السياسي بتغلب العقلية القبلية التي صارت تتحكم في الفرد والمجموعة، وعملت على تفتيت جسد الدويلات الموجودة. وظلت البلاد بعد سقوط الدول المركزية القوية في حالة فوضى وانقسام، وكانت السلطة فيها موزعة بين الملوك الزيانيين و الحفصيين وسلاطين الصحراء وشيوخها من بني جلاب والزوايا.

وعانى الأهالي الأمرّين لغياب الأمن والاستقرار من كثرة المجاعات والأمراض والكوارث الطبيعية المختلفة[3]. وقد تحدث عن الوضع المازوني حيث ذكر جملة من المسائل التي كانت وردت للفقهاء تصور لنا الكثير من الجوانب السياسية، كثورات القبائل المحلية وتمردها على السلطة المركزية، فقال في بعض فتاويه :" وسئل الشيخ سيدي محمد العقباني[4] عن هؤلاء الأعراب المتغلبين على البلاد، لضعف السلطنة، أحيانا يكونون خداما للسلطان، وتارة يكونون مخالفين على السلطان، كما يفعل عرب بلدنا، مثل بنو عامر وسويد، الخ" ... وقال في موضع آخر " مع أن أحكام السلطان أو نائبه لا تنالهم بل يضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم، بل إنما يداريهم بالأعطيات والأنعام ببعض البلاد، ونصب عمالهم فيها، وقطع نظر عمل السلطنة عن النظر في جبايتها...الخ"[5].

---

1 - ابن مرزوق فقيه وأصولي ومحقق مالكي نشأ في تلمسان ودرس بها وتعلم على يد ثلة من الشيوخ منهم أبو القاسم العقباني.

2 - من خلال العنوان نستنتج أن النقاش كان قائما حول مشروعية استعمال "الورق الرومي" في الكتابة.

3- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، ش.و.ن.ت. الجزائر 1972، ص28.

4 - العقباني هو قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني 1368-1450 فقيه عالم وأصولي ومجتهد قال فيه أحد العلماء شيخنا مفتي الأمة علامة المحققين وصدر الأفاضل المبرزين وقال فيه تلميذه يحي المازوني :"شيخنا شيخ الإسلام علم الإعلام العارف بالقواعد والمباني أبو الفضل العقباني" من تلاميذه يحي المغيلي المازوني وأبو الحسن علي بن محمد بن محمد القلصادي الفقيه المالكي المشهور انظر بركات إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي المازوني، شهادة ماجستير غير منشورة، تخصص التاريخ الوسيط جامعة متنوري 2010، ص172.

5- بن سحنون الراشدي الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973 ،ص12.

وكانت قبل ذلك قد وردت إلى الفقيه التونسي بن عرفة ت803 هـ/ 1401م نازلة تستفتيه في شأن قبائل "بني هلال" بالمغرب الأوسط "ليس لهم حرفة إلا شن الغارات وقطع الطرقات على المساكين وسفك دمائهم وانتهاب أموالهم بغير حق... هذا دأب سلفهم وخلفهم". وتبين هذه النوازل أن هذا الصنف المتمرد من القبائل قد أرهق الفقهاء والنخب الدينية مثلما أرهق العامة بأفعاله القائمة على السطو والسرقة، فتراوحت مواقف العلماء في التعامل معه بين التشدد مثل ابن عرفة (ت. 803 هـ/ 1401 م) والبرزلي، واللين مثل ابن رشد ت520 هـ/ 1126م.

وقال الشيخ المازوني مفتيا في شأن هؤلاء الأعراب ومبينا موقف الشرع الإسلامي من وأنشطتهم: " جماعة في مغربنا من العرب تبلغ ما بين فارسها وراجلها قدر عشرة آلاف أو تزيد إلا الغارات وقطع الطرقات على المساكين وسفك دمائهم وانتهاب أموالهم بغير حق ويأخذون الإسلام أبكارا وثيبا قهرا وغلبة هذا دأب سلفهم وخلفهم، مع أن أحكام السلطان ونائبه لا تضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم" ثم يردف وبكل جرأة وقوة : "فأمرنا بقتالهم وصرحنا بأنه جهاد"[1].

على أن هذه الفتاوى الفقهية يغلب عليها الجانب النظري، لأن المعمول به أن أهالي يتعاملون مع هذه القبائل ويتبادلون معها تجارياً معتبرين ذلك أمرا عاديا2، وقد لخص ابن خلدون هذه الظاهرة في عبارته المشهورة هي أن هذه القبائل "رزقهم في ظلال رماحهم".

وبالإضافة إلى الفتاوى السياسية وردت للشيخ المازوني مسائل أخرى في ميدان الفكر والمعارف العامة ومعايشة الناس لزمانهم ومنها مسألة مهمة تعد معيارا لقياس هذا الضعف، وتدور حول حكم استعمال الورق الذي يصنعه الأوروبيون بغرض الكتابة في البلاد الإسلامية، ومن خلال النازلة يبدو أن الكثير من الفقهاء قالوا بكراهة استخدامه حتى اصطلح على تسميته "الكاغد الرومي". ولكون هذا الورق من صنع النصارى، ولا يُعلم بمادة صُنعه، وهل كانت فيها نجاسة أم لا؟ استند هؤلاء على القول بكراهته وحملوا الناس على الامتناع عن استخدامه.

وكان رد المازوني على ذلك الرأي جريئا أيضا حيث رأى أن القول بنجاسته ليس من باب حرمته، ولكن من باب كراهته3، وأفتى بأن لا بأس من استعماله لضرورة التدوين لأمور الدين والدنيا4. وقدم دليله في الإباحة إلى انقطاع وزوال النجاسة إن وجدت أصلا، كما أن

---

1 - بركات إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي المازوني، شهادة ماجستير غير منشورة، تخصص التاريخ الوسيط جامعة متنوري 2010، ص 21.

2 - نجم الدين الهنتاتي، المقال السابق.

3 - بركات إسماعيل، المرجع نفسه ص 290.

4 - بركات إسماعيل، المرجع نفسه، ص308.

استعمال العلماء له في كثير من البلدان الإسلامية كائن وقائم إلى اليوم ولم يحرمه أحد من قبل.

ونقل المازوني في نوازله مسائل أخرى بسيطة في إشكاليتها الفقهية وفرعية كالصلاة خلف إمام خلف إمام لا يغض بصره عن المحارم، وعمن بيده أو بثوبه نجاسة ويذكر الله كثيرا، وعن الإمام لا الإمام لا يحجب امرأته ويتركها تخرج سافرة، وعن جلد القملة يتعلق بالثوب ويصلى به، والصلاة خلف والصلاة خلف الإمام المجهول ما حكمها؟ وعن الجماعة إذا صلوا في السفينة وهي في عرض البحر البحر ورؤوسهم منحنية ذات اليمين وذات الشمال، وعن التيمم على الحشيش والخشب، والتيمم على الرحى1، وغيرها من المسائل التي لا يستساغ اعتبارها من النوازل لبساطتها وإمكانية إيجاد الحلول لها دون مشقة...

كما ان اغلب الفتاوى كانت تدور حول المسائل الاجتماعية والعلاقات الأسرية ومسائل النكاح والمواريث جاءت في نحو 300 نازلة كما تناولت القضايا الاقتصادية والمهنية والبيوع والصروف والسقايات والغرس والكراء ثم مسائل الجنح والتعدي على الناس والخصومات المختلفة والمعاملات المالية كالقرض والهبات والصدقات والاحباس والوصايا 2

وبالمقارنة بين ما أفتى فيه المازوني في نوازله بتلك التي ذكرها بن عظوم التونسي الذي كان بعيش نفس الفترة تقريبا نلاحظ أن هناك تباينا واضحا في نمط القضايا المطروحة على الاستفتاء في البلدين، من حيث جدية المسائل المقصود البحث عن حلول فقهية لها، ومن حيث نمط تفكير الناس في البلدين المتجاورين3.

ولقد كانت الفتاوى والمسائل الفقهية تكسر حاجز الحدود بين الكيانات السياسية والدول وكانت مصلحة الفتوى تغلب على أي مصلحة أخرى، فكانت الفتوى تُرحّل إلى تونس والمغرب ومصر ثم تقدم الجزائر مشروحة ومخرجة بهوامشها وتعليقاتها وشروحها وهو جهد كبير، بالغ فقهاء الفترة العثمانية في بذله خاصة في فترات الحج والمواسم الدينية التي يلتقي حولها الفقهاء4.

جدول يوضح مواضيع نوازل المازوني[5]:

اختصاص النازلة	عددها	اختصاص النازلة	عددها
الطهارة	40	الديون	08

1 - بركات إسماعيل، المرجع نفسه ، ص 308.

2 - عبد القادر بوعقادة، **المرجع السابق**. صص1013.

3 - من مسائل الاستفتاء التي طرحت على بن عظوم التونسي: الأموال أصولها وإنفاقها المواريث البيع الشراء الكراء العارية مسائل النكاح وما تعرق به من قضايا الزواج والطلاق النفقة الدين والرهن والأملاك والأحباس والحيازة وغيرها للزيد من الإحاطة بالموضوع يرجع الى: أبو القاسم بن عظوم المرادي، كتاب الأجوبة، تح محمد الحبيب الهيلة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج تونس، 2004. .

4 - قشي فاطمة الزهراء، الحياة الفكرية...المرجع نفسه، ص 330.

5 - عبد القادر بوعقادة، **المرجع نفسه** ص1005-.

الصلاة	46	الاستحقاق	17
الجنائز	02	العواري والودائع	18
الزكاة	26	مسائل الشفعة	08
الصيام	04	الحوالة والحمالة	06
الاعتكاف	01	الاقرار	08
الذبائح	10	الوكالات	04
الضحايا والعقيقة	11	الجعل والاجارة	13
الجهاد	09	المساقة والمغارسة	46
الايمان والنذور	25	القسمة والشراكة	21
الحلف بالطلاق	15	الحجر	09
النكاح	104	الغصب والتعدي	39
الطلاق	119	القرض	06
النفقات	43	الصدقات والهبات	35
المعاوضات والبيوع	68	اللقطة	04
الصرف والنقود	47	الشهادة والقضاء	45
مسائل العيوب	13	الحبوس	47
مسائل السلم	08	الجرح والتعدي	03
الضرر والدعاوي	23	الجنايات	20
الرهن	02	الوصايا	07
الصلح	07	كتاب الجامع	134

ويجدر بالباحث في ميدان العلوم الاجتماعية الإحاطة بالفترة المراد دراستها وتسليط شيء من الضوء على الفترات السابقة لها لتأثرها بها، وتوسيع دائرة البحث لتشمل أقاليم مجاورة للعينة فالمغرب الأوسط أو "إيالة الجزائر" تتصل به جغرافيا وتؤثر فيه "إيالة تونس" و"مملكة المغرب"، فحرية انتقال الأفكار والفتاوى والنوازل وتأثيرها في الأقاليم المجاورة كان فعالا وكبيرا.

كما أن الدارس من خلال هذه النوازل يجد أن أمراض العصر كانت عامة سواء تعلق الأمر بضعف المجتمعات الإسلامية في هذا النطاق أو ذاك، أو إعراض بعضها عن الدين وأخذه دون وعي وتفقه، وشيوع السلوكيات السيئة وقلة التمسك بالشريعة للجهل وصعوبة المعيشة، وسواد أعمال النهب والبغي والظلم الواقع بين الرعية نفسها أو بين الرعية ومن يرعاها، كما أن هناك كثيرا من النوازل التي دامت فترة طويلة واجتهد الفقهاء في البحث في موضوعها في

"القاهرة" و"فاس" و"تونس" و"قسنطينة" و"الجزائر" ذكر بعضها الفكون في نوازله، والهدف من تنويع الإجابات تحصين الفقيه حتى لا يتعرض للطعن والانتقادات1، أو قد يكون السبب عدم الاطلاع والإلمام بموضوع الفتوى كما ذكرنا آنفا.

وقد تناولت النوازل التاريخ المحلي والجوانب الدينية والثقافية والاقتصاد والمجتمع والأمن والسياسة[2] ومنها يمكن أن نستنتج صورة شاملة للمجتمع ومشكلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخطيرة التي كان يعيشها، من ذلك اللصوصية والظلم والاغتصاب فضلا عن المجاعات والأوبئة، لقد جمعت النوازل بحق ثروة فقهية كبيرة تعطينا ملامح الواقع الفقهي وما عاشه العلماء والفقهاء في هذا الاقليم ومناهج الإفتاء والاساليب التي تدار بها الفتوى واختلافها ، بالإضافة إلى معرفة الواقع الاجتماعي والاقتصادي تمكن من الاطلاع على الرصيد الفكري والحضاري للمغرب الاوسط[3].

تاسعا خاتمة

انطلاقاً من كتب الفقه والنوازل يمكننا أن نستنتج جملة من الأنشطة التي كانت سائدة في البلاد خاصة ما يتعلق بمورد عيش القبائل، حيث نجد أن أغلب الأنشطة السائدة فلاحية سواء زراعية أو رعوية.

حياة قبلية قاسية وغياب ثقافة التمدن ولجوء أغلب القبائل إلى الإغارة على القبائل المجاورة والمدن القريبة منها.

تتطلب مساعي الاستفادة من النوازل في ميدان العلوم الاجتماعية من الباحث الإحاطة بالفترة المراد دراستها وتسليط الضوء على الفترات السابقة لها لتأثرها بها، وتوسيع دائرة البحث لتشمل أقاليم مجاورة للعينة فإيالة الجزائر تتصل جغرافيا بإيالة تونس ومملكة فاس.

حرية انتقال الأفكار والفتاوى والنوازل وتأثيرها في الأقاليم المجاورة كان فعالا وكبيرا.

صورت النوازل بدقة أمراض العصر سواء تعلق الأمر بضعف المجتمعات الإسلامية أو إعراض بعضها عن الدين وأخذه دون وعي وتفقه، وقلة التمسك بالشريعة للجهل وصعوبة المعيشة.

أعمال النهب والبغي والظلم الواقع بين الرعية شكل أغلب الفتاوى التي ضمنتها هذه النوازل التي دامت فترة طويلة واجتهد الفقهاء في البحث في موضوعها.

حرص الفقهاء على طلب الجديد من الأمصار المجاورة، حيث يتحينون زمن مرور ركب الحج فيخرجون للقائه فيقع الجلوس معه وتبادل النقاش والأفكار حول الفتاوى والمصنفات الجديدة.

---

1 - قشي فاطمة، "الحياة الفكرية في قسنطينة ..."، المقال السابق، ص333.

2 - قموح فريد، المرجع السابق، ص 2011.

3 - عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص1007.